الوفد
الحق فوق القوة .. و الامة فوق الحكومة

فى الواحة مع د. رءوف عباس:

مشروع الشرق أوسطية عمره نصف قرن

الخميس، 4 إبريل 1996

حوار: عماد الغزالى

مازالت إسرائيل هى الشوكة التى فى جنوبنا والغصة التى فى حلوقنا لم تفلح المعاهدات - ولن تفلح - فى إقامة علاقات جوار طبيعية مع هذا الجار الذى يمديداً بالسلام ويخفى فى الآخرىنصلاً حاداً يسنه كل يومإستعداداً للإنقضاض على الذبيحة، وهل لم ينقض؟

لم يفلح التطبيع - ولن يفلح - فى مد جسور من الثقة والأمان بين من يملكون طاقات هائلة من أسلحة الدمار الشامل "200 قنبلة نووية وفق تقديرات المراقبين ومن لا يملكون حتى قوت يومهم.

الإسرائيليون يعرفون ماذا يريدون، يخططون له منذ مؤتمر بازل وربما قبله ويسعون إليه بدأب يدعم جحافلهم دعم غربى وأمريكى لاتينى يؤكد ولاءه ومباركته للمشروع الصهيونى، والجديد: دعم عربىأيضاً .

فالهرولة على أشدها والعرب يتزاحمون للحاق بأول الطابور، ويتساءلون عن سعيد الحظ صاحب " أول قطفة" من بستان الحب والحنان الذى ستغمر به إسرائيل المنطقة.

على أية حال هنا مناقشة موضوعية تاريخية مع الدكتور رءوف عباس أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة والجامعة الأمريكية حول الدور الإسرائيلى وأوسلو والتطبيع والهرولة والشرق أوسطية.

بدأنا من آثار أوسلو وإنتهينا إلى موقف صانع القرار المصرى قال:

- فى محاولتنا للوصول إلى رؤية خاصة لآثار أوسلو لابد أن نؤكد على أن معاهدة أوسلو كانت آخر ما تبقى من معاهدة السلام، بعد فشل تنفيذ الجزء الخاص بالضفة الغربية وغزة فى اتفاق كامب ديفيد، وعجز إسرائيل عن وضع حد للإنتفاضة، والمقاطعة العربية لمنظمة التحرير الفلسطينية بسبب موقفها من الغزو العراقى للكويت كل هذا جعل ظهر المنظمة للحائط، فإضطرت إلى قبول صيغة أوسلو التى مثلت الحد الأدنى الذى كان يمكن أن تقبل به منظمة التحرير الفلسطينية، وبالتالى للتخفيف من حدة توابع زلزال أوسلو كانت المنظمة تتوقع أن تكون الرغبة جادة فى تنفيذ ما تم التوصل إليه من إتفاق، على أساس أن تحقيق هذا سيساعد على إضفاء شئ من المصداقية على المبدأ الذى أعلن وهو إقامة الوطن القومى على أى جزء يمكن تحريره فى فلسطين، لكن ماجرى بعد معاهدة أوسلو وضع المنظمة فى موقف حرججداً وجعلها عاجزة عن تبرير الخطوات التى إتخذتها تجاه إسرائيل أمام الفصائل الفلسطينية الأخرى، كون أن حماس لم تكنطرفاً فى أوسلو، فهذا لم يكن ليغير من الأمرشيئاً وحماس التى طرحت كبديل للمنظمة قيل إن إسرائيل لعبتدوراً فى تشجيع تواجدها فى محاولة منها لتمييع الإنتفاضة، وهناك فصائل أخرى داخل المنظمة وخارجها عارضت المعاهدة ولم يكن لها دور فى الإتفاق منذ البداية، وأظن أن هذه ثغرة لعبت بها إسرائيل لتماطل فى تنفيذ إتفاقاتها فى أوسلو فما كشف عنه ياسر عرفات من تسليح إسرائيل والإتصالات الدائرة بين حماس واليمين الإسرائيلى والبيانات التى أصدرتها حماس بعد التفجيرات الأخيرة من أنها تعطى فرصة للتفاوض مع الجناح السياسى لحماس وكأن عملية طرح البديل للمنظمة بدأت ومن ثم فإن عدم جدية إسرائيل فى تنفيذ الإتفاق هو الذى أدى إلى وضع منظمة التحرير فى مأزق وفى وضع لا تحسد عليه.

لكن حماس من جانبها مازالت تمارستصعيداً ربما ترى المنظمة أنه يحرجها لكنه بالتأكيد يأتىرداً على تعنت إسرائيلى واضح.

- أنا أربط بين نتيجة الإنتخابات الفلسطينية وهذا التطور، فتصعيد الموقف من جانب حماس هو محاولة لنسف أى إمكانية لتنفيذ حتى الحد الأدنى الذى تم الإتفاق عليه، وله صلة وثيقة بما أسفرت عنه نتيجة الإنتخابات التى بينت أن الرأى العام الفلسطينى فى الأراضى المحتلة متمسك بالمنظمة، ومعنى هذا أن أمام حماس أحد خيارين، إما أن تتبنى ما توصلت إليه المنظمة، أو تنسف ماتم التوصل إليه.

لكن حماس كما تعلم فضلت مقاطعة الإنتخابات.

- لكن النتيجة لم تكن متوقعة سواء من جانب الإسرائيلين أو حماس نتيجة الإنتخابات كانت بمثابة تفويض لعرفات من سكان الأراضى المحتلة، ومن ثم كان لابد أن تهتز مصداقية هذا التفويض بالإعلان عن وجود بديل لا يمكن أن يقوم سلام دون أن يكون له رأى فيه.

هذا يقود إلى سؤال أكثر أهمية، هل إسرائيل جادة فعلا فى الدخول قى تسوية تعلم أنها ستقود إلى قيام دولة فلسطينية.

- طبعاً لا، إسرائيل ليست جادة لكنها تحاول تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب تستفيد من كل الفرص وتنفذ من كل الثغرات لهذاإذاً وضعنا فى إعتبارنا أن قيام حماس ليسبعيداً عن محاولات إسرائيل إيجاد بديل للمنظمة منذ البداية، يصبح السيناريو له ما يبرره.

كيف يمكن إذن لمنظمة التحرير أن تخفف من النتائج السلبية لما جرى.

- لو تركت المنظمة لإسرائيل فإنها لن تتمكن من تحقيق شئ ، المواجهة تحتاج إلى موقف عربى موحد، لكن المشكلة أنأحداً لا يتبنى هذا الموقف، سوريامثلاً عنصر فاعل وبيدها صمام بعض أطراف المعارضة لكنها مغيبة، مصر دورها محكوم بعلاقتها مع أمريكا وبرواسب كامب ديفيد بلأحياناً تحاول مصر أن تبين أنها ملكية أكثر من الملك، إذن فترك ظهر الفلسطينين مكشوفاً يقضىتماماً على أى فرص لعرفات لتدارك ما خلفته معاهدة أوسلو.

هل يصب مؤتمر شرم الشيخ فى هذا الإطار؟

- بالتأكيد نتائجه تشير إلى هذا فإسرائيل فى ممارستها تؤكد بإستمرار أن سياستها على الأراضى المحتلة قائمة وأن السلطة الوطنية هى مجرد إدارة ذاتية وليستحكماً ذتياً ، ففى كل مناسبة تؤكد أن السيادة على الأراضى المحتلة إسرائيلية، إضافة إلى الدعم المادى والمعنوى الذى قدمه مؤتمر شرم الشيخ لإسرائيل التى تلتزم حمائمها وصقورها بالمشروع الصهيونى، إضافة إلى الدعم الذى قدمه للرئيس بيل كلينتون فى مواجهة مراكز النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك الورطة التى سيقت إليها المنظمة بإعتقالهاعدداً من نشيطى حماس، مما ترتب عليه شق فى الصف الفلسطينى.

وكيف تفسر عملية الهرولة والتسابق نحو الكعكة الإسرائيلية كما يتصورها البعض؟

- أعتقد أن جزءا من هذه الهرولة مرده التشفى فى الفلسطينين أو تصفية الحسابات مع النخبة التى ربما أوجدت بعض المشاكل فى بعض البلدان إضافة إلى محاولات إثبات الولاء للسياسة الأمريكية بأن يكونواأحياناً على يمين المواقف الأمريكية ذاتها بالإضافة إلى روابط "البيزنس" بين بعض تلك البلدان من ناحية والأمريكان والصهيونية العالمية من ناحية أخرى.
ثمة مسألة مهمة أخرى أنبعضاً من هذه البلدان فتحت أذانها لما يقال عن النظام الشرق أوسطى الجديد وإمكانية أن تلعبدوراً يتجاوز حجمها، ويقلص بالضرورة من الدور المصرى، حلمها أن تلعبدوراً إقليمياً كانتقليدياً محفوظاً لمصر.

ما دمنا نتحدث عن الشرق أوسطية، ما الذى يمكن أن تؤول إليه الأمور فى حالة مضى البعض فى الشوط إلى آخره؟

- كمؤرخ أقول إن جذور هذا المشروع تعود إلى عام 1943. وقتها كان الأمريكان يتحسسون الموقف حتى يهيئوا أنفسهم لوراثة بريطانيا، فى هذا الوقت تقدم تلميذ لـ"وايزمان" بمشروع يقول فيه إن فلسطين بها الخبرات التكنولوجية وإمكانيات لعمل قاعدة صناعية وزراعية ضخمةجداً ، تخدم على الشرق الأوسط من أفغانستان وإيران

إلى غرب أفريقياومروراً بمصر والسودان، وأن بعض الدول مثل مصر بإمكانها تقديم عمالة مدربة فى هذا الإطار وقدم إحصائيات كاملة بالموارد الطبيعيةزراعياً وصناعياً .

إذن فإقامة سوق شرق أوسطية تحتل فيها إسرائيل مكان القلب كانجزءاً لا يتجزأ من المشروع الصهيونى كله، وقتها نظر الأمريكان للمشروع بأنه يحتاج أن تحلأولاً مشكلة فلسطين، مما يدفع دول المنطقة للدخول فيه كشريك. وستلاحظدائماً أن المشروعات التى تخطط لها الصهيونية تظل فى البال،إنتظاراً للحظة مناسبة تتحول فيها هذه المشروعات من ورق فى ملفات إلى شئ منفذ على أرض الواقع.

والتحالف الإستراتيجى الأمريكى الإسرائيلى يكمل الصورة.

- بالضبط، لأنه إذا كانت معاهدات سلام توقع، والدول جميعها فى المنطقة تحت النفوذ الأمريكى، فلمن يوجه هذا التحالف تهديداته.

أنا أشعر أن صانع القرار المصرى يدرك هذا، لأنه بدأ يتحدث عن سوق عربية، لكن المشكلة أندولاً عربية عدة ترفض السوق العربية لأنها ترفض زعامة مصر فى إطار هذا السوق.

إزاء ذلك كله، ما الذى يمكن أن يفعله صانع القرار المصرى ؟

- صانع القرار المصرى لابد أن يفكرأولاً فى المصلحة المصرية، ثم المصلحة العربية التى يغل يده فيها موقف الأطراف العربية ذاتها.